فَـقُـلْـتُ وَنَـحْـنُ فـي بَـلَـدٍ حَـرام
بِـهِ: والـلَّـه أُخْـلِـصَـتِ الـقُـلُـوبُ[١]
أَتـوبُ إِلـيـكَ يـا رَحْـمَـنُ مِـمَّـا
عَـمِـلْـتُ فَـقَـدْ تَـظـاهَـرَتِ الـذُّنُـوبُ[٢]
فـأَمَّـا مِـنْ هَـوَى لَـيْـلَـى وتَـرْكِـي
زِيَـارَتَـهـا فَـإِنِّـي لا أَتـوبُ[٣]
وَكَـيْـفَ ـ وَعِـنْـدَهـا قَـلْـبـي رَهِـيـنٌ ـ
أَتـوبُ إِلـيـكَ مِـنْـهَـا أَو أُنِـيـبُ[٤]؟

١٦
رثاء والده

قال يرثي أباه، ومات أبوه قبل اختلاطه وتوحّشه، فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات:

[الطويل]

عَـقَـرْتُ عـلـى قَـبْـرِ الـمُـلَـوَّحِ نَـاقَـتـي
بِـذِي الـرَّمْـثِ لَـمَّـا أَنْ جَـفـاهُ أَقـارِبُـهْ[٥]
فَـقُـلْـتُ لَـهـا: كُـونـي عَـقـيـراً فَـإِنَّـنـي
غَـدَاةَ غَـدٍ مَـاشٍ وَبـالأَمْـسِ رَاكِـبُـهْ[٦]

= حبيبته فجأة، وبدل أن يكون قلبه معلقاً بربّ العباد ينبض بالحب الإلٰهي، فإذا به ينبض بحبّ ليلى والإخلاص لها.

(١) مكة موطن الدعاء والاستغفار، والشاعر بصحبة يدعون ويستغفرون له، يتذكّر حبيبته فجأة، وبدل أن يكون قلبه معلقاً بربّ العباد ينبض بالحب الإلٰهي، فإذا به ينبض بحبّ ليلى والإخلاص لها.

(٢) حمل الشعور الشاعر على الاستغفار والتوبة إلى اللّه تعالى، فقد أحسّ بتضافر الذنوب وكثرتها في ذلك المكان حيث تتعلّق القلوب بربّ العباد مستغفرة تائبة.

(٣) و (٤) يصرّ الشاعر على حبّ ليلى، ولن يتوب عن زيارتها. والسبب أن قلبه مرهون لديها، فيحسّ بالتقصير لذا يرجع إلى اللّه تائباً لإحساسه بعدم الإخلاص لخالقه تعالى.

(٥) و (٦) عقر: ذبح. ذي الرمث: اسم مكان. كان من عادة أهل الجاهلية أن يذبحوا =

فَـلا يُـبْـعِـدَنْـكَ الـلَّـه يَـابْـنَ مُـزَاحـم
فَـكُـلُّ امْـرىءٍ لِـلْـمَـوْتِ لا بُـدَّ شـارِبُـهْ(١)
فـقـد كُـنْـتَ ظـلَّاعَ الـنِّـجَـادِ ومُـعْـطِـيَ الـ
ـجـيَـادِ وسَـيْـفـاً لا تُـفَـلُّ مَـضـارِبُـهْ(٢)

١٧
دعوة مخلصة

[الطويل]

أَرى كـلَّ أَرْضٍ دُسْـتِ فـيـهـا وإِنْ مَـضَـتْ
لـهـا حِـجَـجٌ يَـزْدادُ طِـيـبـاً تُـرابُـهـا(٣)
أَلَـمْ تَـعْـلَـمَـنْ يـا رَبِّ أَنْ رُبَّ دَعْـوَةٍ
دَعَـوْتُـكَ فـيـهـا مُـخْـلِـصـاً لَـوْ أُجـابُـهـا(٤)
فَـأُقْـسِـمَ لَـوْ أَنِّـي أَرَى نَـسَـبـاً لـهـا
ذُبَـابَ الـفَـلا حَـنَّـتْ إِلَـيَّ ذُبـابُـهـا(٥)

= النياق على قبور موتاهم. فعل الشاعر ذلك بعدما انفضّ المشيّعون من أقاربه. توجّه إلى ناقته بأنه سيذبحها عن روح والده، وها هو الآن راكب وسوف يعود بالغد ماشياً سيراً على قدميه.

(١) يوجّه الشاعر كلامه إلى أبيه متمنياً له رحمة اللّه تعالى؛ فهذا مصير سائر البشر المحتّم، فلا خلاص منه لأحد.

(٢) النجاد، مفردها نجد: الطرق. طلّاع النجاد: خبير بمسالك الصحراء. معطي الجياد: كريم. لا تُفلّ مضاربه: سيف قاطع لا ثلمة فيه. يصف الشاعر والده بصفات محبّبة عند العربي، متغنياً بتلك الصفات من شجاعة وكرم ومعرفة بالحياة.

(٣) الحجج: السنون والأعوام. الأثر الطيّب ناتج عن مرورك بأرض داستها قدماك فتركت فيها طيباً وفوحاً يزداد بمرور الأيام والسنين.

(٤) يتوجّه الشاعر إلى اللّه تعالى بالدّعاء أن يستجيب دعاءه ليلتقي حبيبته، ولكن اللّه تعالى لا يستجيب له.

(٥) يقسم الشاعر لو أنّ علاقة بين ذباب الصحراء وبين حبيبة صلة قرابة لأجاب دعوته ورقّ لحاله.